القول هو أشبه الأقوال وقال العوفي عن ابن عباس أدخلني مدخل صدق يعني الموت وأخرجني مخرج صدق يعني الحياة بعد الموت وقيل غير ذلك من الأقوال والأول أصح وهو اختيار ابن جرير وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الحسن البصري في تفسيرها وعده ربه لينزعن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له وعز الروم وملك الروم وليجعلنه له وقال قتادة فيها إن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم ۝ وقال مجاهد سلطانا نصيرا حجة بينة واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناواه ولهذا يقول تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وفي الحديث إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع ۝ وقوله وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا تهديد ووعيد لكفار قريش بأنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ۝ وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وكذا رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ۝ وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي نجيح به وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شبابة حدثنا المغيرة حدثنا أبو الزبير عن جابر قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما تعبد من دون الله فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكبت لوجوهها وقال جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ۝

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

٢٨

ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ۝

يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل القرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة ۝ وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكذيبا وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد وقال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون والآيات في هذا كثيرة قال قتادة في قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين إلا خسارا أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ۝ **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا**

يخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو إلا من عصم الله في حالتي السراء والضراء بأنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ونال ما يريد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه قال مجاهد بعد عنا ۝ قلت وهذا كقوله تعالى فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه وقوله فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب والحوادث والنوائب كان يؤوسا أي قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كما قال ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ۝ وقوله قل كل يعمل على شاكلته قال ابن عباس على ناحيته وقال مجاهد على حدته وطبيعته وقال قتادة على نيته وقال ابن زيد دينه وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى وهذه الآية والله أعلم

Copyright © King Saud University